سبب عبور التتار عن بلادهم انهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه فهزموه وغنموا
امواله فعادوا فلقيهم الخبر في طريقهم بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فاعدوا السير فادركوه وهو على الخروج من بيوتهم
بعد فراغه من الغنيمة فواقعوه وتصافوا للحرب ثلاثة ايام بلياليها لا يفترون نهارا ولا ليلا فقتل من الفريقين
ما لا يعد ولا ينهزم منهم احد اما المسلمون فصبروا حمية للدين وعلموا انهم ان انهزموا لم يبق للاسلام باقية ثم
انهم لا ينجون بل يؤخذون ويؤسرون لبعدهم عن بلاد يمتنعون بها واما التتار فصبروا لاستنقاذ اموالهم و
اهليهم واشتد الخطب بين الطائفتين حتى ان احدهم كان ينزل عن فرسه فيقاتل قرنه مضاربة بالسكاكين وجرى
الدم على الارض حتى كانت الخيل تزلق فيه لكثرته ولم يحضر جنكزخان بنفسه هذه الوقعة وانما كان فيها قاآن ولده فاحصي
من قتل من المسلمين فكانوا عشرين الفا ولم يحص من قتل من التتار فلما جاءت الليلة الرابعة افترقوا فنزل
بعضهم مقابل بعض فلما اظلم الليل اوقد التتار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا راجعين الى جنكزخان ملكهم
واما المسلمون فرجعوا ومعهم ملكهم محمد خوارزمشاه فلم يزالوا سائرين حتى اتوا بخارى وعلم خوارزمشاه انه لا طاقة
له بجنكزخان لان طائفة من عسكره لم يقوا خوارزمشاه بجميع عساكره بهم فكيف اذا احتشدوا وجاؤوا عن بكرة ابيهم
وملكهم جنكزخان بينهم فاستعد للحصار وارسل الى سمرقند يامر قواده المقيمين بها بالاستعداد للحصار وجمع الذخائر
للامتناع والمقام من وراء الاسوار وجعل في بخارا عشرين الف فارس يحمونها وفي سمرقند خمسين الفا وتقدم اليهم بحفظ
البلاد حتى يعبر هو الى خوارزم وخراسان فيجمع العساكر ويستنجد بالمسلمين والغزاة المطوعة ويعود اليهم ثم رحل الى
خراسان فعبر جيحون وكانت هذه الوقعة في سنة ست عشرة وستمائة فنزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك واستنفر
الناس واما التتار فانهم رحلوا بعد ان استعدوا يطلبون بلاد ما وراء النهر فوصلوا الى بخارا بعد خمسة اشهر من
رحيل خوارزمشاه عنها وحصروها فقاتلهم العسكر المرابط بها ثلاثة ايام قتالا متتابعا فلم يكن للعسكر الخوارزمي
بهم قوة ففتحوا ابواب المدينة ليلا فخرجوا باجمعهم عائدين الى خراسان فاصبح اهل بخارا وليس عندهم من العسكر
احد اصلا فضعفت نفوسهم فارسلوا قاضي بخارا ليطلب الامان للرعية فاعطاه التتار الامان وقد كان بقي في قلعة
بخارا خاصة طائفة من عسكر خوارزمشاه معتصمون بها فلما راى اهل بخارا بذلهم للامان فتحوا ابواب المدينة
وذلك في رابع ذي الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل التتار بخارا ولم يتعرضوا لاحد من الرعية بل قالوا لهم
كل ما كان لخوارزمشاه عندكم من وديعة او ذخيرة اخرجوه الينا وساعدونا على قتال من بالقلعة ولا باس عليكم و
اظهروا العدل والاحسان وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه البلد واحاطوا بالقلعة ونادى مناديه في البلد ان
لا يتخلف احد ومن تخلف قتل فحضروا الناس باسرهم فامر بطم الخندق فطموه بالاخشاب والاحطاب والتراب
ثم زحفوا الى القلعة وكان عدة من بها من الجند الخوارزمية اربعمائة انسان فبذلوا جهدهم عشرة ايام الى ان وصل
النقابون الى سور القلعة فنقبوه ودخلوا القلعة فقتلوا كل من بها من الجند وغيرهم فلما فرغوا منها امر جنكزخان
ان يكتب له وجوه البلد ورؤساؤهم ففعل ذلك فلما عرضوا عليه امر باحضارهم فلما احضروا قال لهم اريد منكم النقرة الفضة
التي باعها اياكم خوارزمشاه فانها لي ومن اصحابي اخذت فكان كل من عنده شيء منها يحضره فلما فرغ من ذلك امرهم بالخروج
عن البلد بانفسهم خاصة فخرجوا مجردين من اموالهم ليس مع كل واحد منهم الا ثيابه التي على جسده فامر بقتلهم فقتلوا
عن آخرهم وامر حينئذ بنهب البلد فنهبت فقتل كل من فيه وسبيت النساء والاطفال وعذبوا الناس بانواع العذاب
في طلب المال ثم رحلوا عنه نحو سمرقند وقد تحققوا عجز خوارزمشاه عنهم فاستصحبوا معهم من سلم من اهل بخارى اسارى
مشاة على اقبح صورة وكل من اعيا وعجز عن المشي قتلوه فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والاسارى
والاثقال وراءهم حتى يلحقوا بهم شيئا فشيئا ليرعبوا قلوب اهل البلد فلما راى اهل سمرقند سوادهم استعظموهم فلما
كان اليوم الثاني وصل الاسارى والرجالة والاثقال ومع كل عشرة من الاسارى علم فظن اهل البلد ان الجميع عسكر
فاحاطوا بسمرقند وفيها خمسون الفا من الخوارزمية وما لا يحصى كثرة من عوام البلد فاحجم العسكر الخوارزمي عن الخروج

اليهم وخرجت العامة بالسلاح فاطمعهم التتار في انفسهم وقهقروا عنهم وقد كمنوا لهم كمناء فلما جاوزوا الكمين
خرج عليهم من وراءهم وشد عليهم من امامهم جمهور التتار فقتلوهم عن آخرهم فلما راى من تخلف بالبلد ذلك
ضعفت قلوبهم وخيلت للجند الخوارزمي انفسهم انهم ان استامنوا للتتار ابقوا عليهم للمشاكلة في جنسية التركية
فخرجوا باموالهم واهليهم اليهم مستامنين فاخذوا خيلهم وسلاحهم ووضعوا السيف فيهم فقتلوهم كلهم ثم
نادوا في البلد برئت الذمة ممن لم يخرج ومن خرج فهو آمن فخرج الناس اليهم باجمعهم فاحتاطوا عليهم ووضعوا
السيف فيهم وعذبوا الاغنياء منهم واستصفوا اموالهم ودخلوا سمرقند فاخربوها دورها وقلعتها فكانت هذه الوقعة
في المحرم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزمشاه مقيما بمنزلته الاول كلما اجتمع له جيش سيره الى سمرقند فيرجع
ولا يقدم على الوصول اليها فلما قضوا وطرا من سمرقند سير جنكزخان عشرين الف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزمشاه
اينما كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتاخذوه وهذه الطائفة تسميها التتار المغربة لانها سارت نحو غرب
خراسان وهم الذين اوغلوا في البلاد ومقدمهم جرماغون نسيب جنكزخان وحكي ان جنكزخان كان قد امر
على هذا الجيش ابن عم له شديد الاختصاص به يقال له منكلي نوين وامره بالجد وسرعة المسير فلما ودعه عطف
منكلي نوين هذا فدخل الخركاه وفيها امراة له كان يهواها ليودعها فاتصل ذلك بجنكزخان فصرفه في تلك الساعة
عن امارة الجيش وقال من يثني عزمه امراة لا يصلح لقيادة الجيش ورتب مكانه جرماغون فساروا وقصدوا
من جيحون موضعا يسمى بنج اب اي خمس مياه وهو عميق العبور فلم يجدوا به سفنا فعملوا من الخشب مثل الاحواض
الكبار ولبسوه جلود البقر ووضعوا فيه اسلحتهم واقحموا خيولهم الماء وامسكوا باذنابها وتلك الاحواض الكبار
مشدودة اليها فكانت الفرس تجذب الرجل والرجل يجذب الحوض فعبروا كلهم ذلك الماء دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه
بهم الا وهم معه على ارض واحدة وكان جيشه قد ملئ رعبا منهم فلم يقدروا على الثبات فتفرقوا ايدي سبا وطلب كل
فريق منهم جهة ورحل خوارزمشاه في نفر من خواصه لا يلوي على شيء وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض عسكره
فلم يستقر حتى وصل جرماغون اليه وكان لا يتعرض في مسيره بنهب ولا قتل بل يطوي المنازل طلبا يطلب خوارزمشاه
ولا يمهله ليجمع عسكرا فلما عرف قرب التتار منه هرب من نيسابور الى مازندران فدخلها ودخل جرماغون خلفه
ولم يعرج على نيسابور بل قصد مازندران فخرج خوارزمشاه عنها فكان كلما رحل عن منزل نزله التتار حتى وصل الى
بحر طبرستان فنزل هو واصحابه في سفن ووصل التتار فلما عرفوا نزوله البحر رجعوا وايسوا منه وهؤلاء هم الذين
ملكوا عراق العجم واذربيجان واقاموا بنواحي التبريز الى يومنا هذا ثم اختلف انه اقام بقلعة في بحر طبرستان منيعة
توفي بها وقوم يحكون انه غرق في البحر وقوم يحكون انه غرق ونجا عريانا فصعد الى قرية من قرى طبرستان فعرفه اهلها
فجاؤوا وقبلوا الارض بين يديه واعلموا عاملهم به فجاء اليه وخدمه فقال له خوارزمشاه احملني في مركب الى الهند
فحمله الى شمس الدين ايلتمش ملك الهند وهو نسيبه من جهة زوجته والدة منكبوني بن خوارزمشاه الملك جلال
الدين فانها هندية من اهل بيت الملك فيقال انه وصل الى ايلتمش وقد تغير عقله مما اعتراه من خوف التتار والامر
سلطه الله تعالى عليه فكان يهذي بالتتار بكرة وعشية وكل وقت وكل ساعة ويقول هو ذا هم قد خرجوا من هذا
الباب قد هجموا من هذه الدرجة ويرعد ويحول لونه ويختل كلامه وحركاته قال وحكى لي فقيه خراساني وصل
الى بغداد يعرف بالبرهان قال كان اخي معه وكان ممن يثق خوارزمشاه به ويختصه قال لي خوارزمشاه لما تغير
عقله بكلمة كان يقولها قراتتر كلدي بكوزيها وتفسيرها التتر السود قد جاؤوا وفي التتر صنف سود يشبهون الزنج
لهم سيوف عريضة جدا على غير صورة هذه السيوف ياكلون لحوم الناس فكان خوارزمشاه قد اهتر واغري بذكرهم
وحدثني البرهان قال وقد بعث به شمس الدين ايلتمش الى قلعة من قلاع الهند حصينة عالية شاهقة لا يعلوها الغيم ابدا
وانما تمطر السحب من تحتها وقال له هذه القلعة لك وذخائرها واموالك فكن فيها وادعنا آمنا الى ان يستقيم طالعك
والملوك ما زالوا هكذا ايدبر طالعهم ثم يقبل فقال له لا اقدر على الثبات فيها والمقام بها لان التتر سوف يطلبوني و